تصور القول في البيان والتبيين للجاحظ

"مقاربة لسانيّة عرفانيّة"

منى بنت خالد صتان الرويلي

معيدة في جامعة الحدود الشمالية

قسم اللغة العربيّة- كلية التربية والآداب

جامعة الحدود الشمالية- المملكة العربية السعودية.

المستخلص

يعدُّ البحثُ في الطرقِ التي نفكّر بها، وندركُ من خلالِها أنفسَنا والعالمَ من حولِنا سؤالًا ملحًّا شغلَ المفكّرين والباحثين عبر العصور؛ لكونِهِ مرتبطًا بالطريقةِ التي نحيا بها بوصفنا كائناتٍ بشريّة، وتندرجُ الورقة ضمنَ هذا الهاجسِ، من خلال البحث في تصوّر القول في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، الذي يمثّل محطّة مهمّة في التأليف حول العمليّة القوليّة.

تتلخّصُ إشكالية الورقة في النظرِ في إمكانيّةِ مقاربَةِ التصوّراتِ بآليّاتٍ علميّةٍ بعيدةٍ عن الحدوسِ والتأمّلاتِ الصِّرفة، وذلك ما تراهن اللسانيّاتُ العرفانيّةُ على تحقيقه.

تأتي دراسة هذه الإشكاليّة في ضوء افتراض مفاده: إذا كانت المجازاتُ اللغويّةُ تكشفُ عن الطبيعةِ المجازيّةِ للتصوّراتِ وما يترتّبُ عليها من توجيهٍ للفكرِ والتجاربِ فإنّ دراسةَ تصور القول من هذه الجهةِ ستصلُ بنا إلى فهم أكثر عمقًا وتحديدًا للمكانة التي يتمتّع بها القول ودوره في توجيه المجتمعات العربيّة في الفترة التي تنتمي إليها المدوّنة.

سعت الدراسةُ إلى اختبارِ هذه الفرضيّةِ وصولًا إلى تحقيقِ جملةٍ من الأهدافِ، من أبرزِها: الوقوفُ على التصوّراتِ المجازيّةِ المتحكّمةِ في فهم العملية القولية، ومساءلةُ دورِ التصوّراتِ المجازيّةِ في فَهْمِنا لذواتِنا وللعالمِ من حولِنا.

ومن أبرز نتائج الدراسة أن تصوّر القول قائم على مثّلث(الإظهار، الإخفاء، القوة)، ومن خلاله يمكن تفسير ارتباط القول بالسلطة، بدءا من العلاقة بين الإمامة والخطابة، وتقدم المتكلّم البليغ في صدور المجالس، وصولًا إلى دور القول في توجيه مواقف الثقافة العربية ومصائرها.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات العرفانية، التصور، المجاز، التصورات المجازية، الخطاطة القول.

Abstract

Imagine saying in the statement and the identification of the outspoken
A Linguistic, Acknowledged Approach

Research in the ways in which we think, and through which we ourselves and the world around us are aware of an urgent question, has occupied thinkers and researchers throughout the ages; Being linked to the way we live as human beings, the paper is part of this obsession, through research in visualizing the saying in the book of statement and showing al-Jahiz, which represents an important milestone in the authorship process.

The paper's problem is summed up in looking at the possibility of approaching perceptions with scientific mechanisms that are far from pure intuitions and meditations, and that is what secular linguistics depends on achieving.

A study of this problem comes in the light of the assumption that: If the linguistic metaphors reveal the metaphorical nature of the imaginations and the consequent guidance of ideas and experiences, then a study of the concept of saying from this side will lead us to a deeper understanding and a specificity of the place that the word has and its role in directing Arab societies in The period to which the blog belongs.

The study sought to test this hypothesis in order to achieve a number of goals, the most prominent of which are: standing on metaphorical concepts that govern the understanding of the anecdotal process, and questioning the role of metaphoric perceptions in our understanding of ourselves and the world around us.

Among the most prominent results of the study is that the conception of the saying is based on a triangle (manifestation, concealment, strength), and through it the explanation of the association of the saying with authority, starting from the relationship between the imamate and rhetoric, and the eloquent speaker speaking in the issuance of councils, up to the role of the saying in directing the attitudes and destinies of Arab culture .

Key words: customary linguistics, perception, metaphor, metaphorical perceptions, and calligraphy.

المقدّمــة

إنّ النسق التصوّريّ الذي يتحكّم بمجمل أنشطتنا وتجاربنا على درجة عالية من التعقيد والغموض، ولم تكن السبل ميسّرة للكشف عليه من خلال كنهه، ولهذا لجأ العلماء إلى محاولة دراسته من خلال تجلّياته في المسارات السلوكيّة المختلفة، واللغة واحدة من أهمّ هذه المسارات.

تندرج الورقة المقدّمة ضمن هذا الإطار الفكريّ، وذلك بدراسة تصوّر القول في كتاب البيان والتبيين من خلال اللغة الواصفة التي قُدّم بها، يأتي ذلك في إطار مرجعيّة نظريّة محدّدة تتمثّل باللسانيّات العرفانيّةcognitive linguistics ، وهي تندرج ضمن إطار أعم هو العلم العرفاني cognitivescience، وهو ميدان جديد تتلاقح فيه جملة من العلوم (كعلم النفس، واللسانيات،والأنثربولوجيا، والذكاء الاصطناعي، والحاسوب...) في بحثها عن الذهن، سعيا إلى تحصيل أجوبة دقيقة عن أسئلة من قبيل: ما العقل؟ كيف نجعل تجربتنا ذات معنى؟ ما النظام التصوري وكيف ينتظم، وغير ذلك (لايكوف، 2012، 321/1) وقد سعت اللسانيات العرفانية بدورها إلى الإسهام في الإجابة عن هذه الأسئلة، من خلال مقاربتها للغة بوصفها نتاجا للذهن البشري، واعتبارها، من وجهة النظر هذه، عاكسة لسيروراته وبنياته. (ابن دحمان، 2015م، ص60).

أهميّة الدراسة:

تستمدّ الدراسة أهميّتها من جهتين، الأولى: خصوصيّة المدوّنة المدروسة من حيث هي معنيّة بالتنظير للقول بالقول (القول على القول)، وأنّ الكتاب والكاتب يمثّلان محطّة مهمّة في التأليف العربيّ في هذا المجال. والثانية: تقصّي الأبعاد التصوّريّة الموجّهة لتجاربنا ومواقفنا حيال القول، والكشف عن الأنساق المؤسسة لذلك، ومترتباتها في الوعي العربيّ في تلك الفترة.

أهداف الدراسة:

يروم البحث تحقيق جملة من الأهداف، أبرزها:

- اختبار نجاعة الأدوات التي تقدّمها اللسانيّات العرفانيّة في مقاربة التصوّرات من خلال اللغة.

- الإمساك بالنسق التصوّري الذي يصدر عنه فهم(القول) في المدوّنة، من خلال النظر في اللغة الواصفة التي قُدِّم بها.
- النظر في مترتّبات مجازيّة تصوّر القول، وآثارها على البيئة العربيّة.

إشكالية الدراسة وتساؤلاتها:

تتأطّر الإشكاليّة في إمكانيّة مقاربة التصّورات مقاربة علميّة بعيدة عن الحدوس والانطباعات، بل بآليّات علميّة تصل بنا إلى نسق تصوّري محدد. وتفرض معالجة هذه الإشكالية الإجابة عن عدد من الأسئلة، منها:

- إلى أي حدّ يمكن أن تكشف اللغة عن الأنساق التصوّريّة لدى المتحدّثين بها؟
- ما الأدوات التي تقدّمها اللسانيّات العرفانيّة للكشف عن الأنساق التصوّريّة بطريقة علميّة بعيدة عن التأملات والحدوس؟
- ما الأنساق التصورية التي تتحكّم في تصوّر القول في البيان والتبيين، وما نتائجها في الوعي العربيّ؟

فرضية الدراسة:

إذا كانت اللغة تجلّيًا سلوكيًّا من تجلّيات التصوّر، فإن دراسة تصوّر القول من خلال اللغة ستصل بنا إلى استكناه الأسس التصوّريّة له، والمجازات المتحكّمة في فهمنا وممارستنا له.

مدوّنة الدراسة:

الدراسة بطبيعتها تطبيقيّة، تقارب مدوّنة محدّدة بأدوات لسانيّة عرفانيّة، والمدوّنة هي: كتاب البيان والتبيين للجاحظ(1998)، بتحقيق عبدالسلام هارون، يقع في أربعة أجزاء، الطبعة السابعة، من منشورات مكتبة الخانجي بالقاهرة.

الدراسات السابقة:

تتسم هذه الدراسة بكونها تطبيقيّة، ومن أبرز المراجع التي طبّقت النظريّة على المدوّنات المختلفة ما يلي:

كتاب: الزمن في العربيّة من التعبير اللغويّ إلى التمثيل الذهنيّ: دراسة لسانيّة إدراكيّة، لجنان بنت عبد العزيز التميميّ، من منشورات جامعة الملك سعود في الرياض،

عام2013. درست الباحثة مفهوم الزّمن في مدوّنات عديدة، وتوصّلت إلى نتائج أبرزت أسس تصوّرنا للزمن وإدراكنا له من خلال الأدوات اللسانية العرفانية.

- كتاب: التصورات المجازية في القرآن: مقاربة عرفانية لبلاغة النص القرآني، لعفاف موقو، من منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة، صدر عام 2014م. عني الكتاب بتطبيق نظرية التصوّرات المجازية على القرآن الكريم؛ سعيًا إلى اكتشاف وجه جديد من أوجه بلاغة النص القرآني.
- كتاب: الجمال والعنف البنى التصوّريّة والطقس القربانيّ: دراسة في الخطاب الأدبيّ والنقديّ القديم، لفاطمة الوهيبيّ، من منشورات مكتبة الملك فهد الوطنيّة في الرياض، عام 2015.

يدرس البحث العلاقة بين العنف والجمال في المدونة الأدبية والنقديّة، من خلال تقصّي الأنساق التصوّريّة المؤسسة لهذا الاقتران ومحاولة تفسيرها.

- كتاب: الاستعارات التصوّريّة وتحليل الخطاب السياسيّ، لمحمّد الصالح البوعمرانيّ، نُشر في دار كنوز المعرفة في عمّان، عام 2015.

يشمل البحث تحليلًا للتصورات المجازية في خطابات شخصيات رئاسيّة كجمال عبد الناصر، والحبيب بو رقيبة، وحلّل خطابات المقاومة ممثّلة بخطابات ياسر عرفات، وكذا خطابات إحدى مثقفات تونس في الفايسبوك، ودرس العلاقة بين الجنس والسياسة من خلال بعض الخطابات، وكل ذلك من خلال نظرية التصوّرات المجازيّة.

تفرّد الدراسة عن الدراسات السابقة:

وإنّ هذه الدراسة المقدّمة إذ تشترك مع بعض الدراسات في الخلفية النظريّة فإنّها تنفرد بطبيعة المدونة التي تدرسها، والتصوّر الذي تبحث فيه، فلم يسبق التطرّق إلى دراسة القول من ناحية أبعاده المجازيّة التصوّريّة. والدراسة إذ تدرس هذا التصوّر فإنّها تسلط الضوء على انعكاساته في الثقافة العربيّة، بما هي ثقافة تولي للكلمة قيمة كبيرة، وتأسست جوانب مهمة من حضارتها عليها.

وقد أفضى استقراء المدوّنة إلى استخراج أبرز المجازات الخاصة بتصوّر القول فيها، وتأتي الدراسة التطبيقيّة على محورين، يسبقها عرض نظريّ مقتضب كما يلي:

-المحور الأول: المجاز بين التصوّر واللغة.

-المحور الثاني: إسقاط بنية التجربة على القول، ويشمل:

1) المجاز التصوّريّ: القول معركة.

2) المجاز التصوّريّ: القول رؤية.

-المحور الثالث: الإسقاط الخطاطيّ، ويشمل:

1) إسقاط خطاطة الميزان على القول.

2) إسقاط خطاطة المسار على القول.***

1. المجاز بين التصوّر واللغة:

تقع الدراسة ضمن علم الدلالة العرفانيّ، وهو مشغول باكتشاف الأنساق التصوّريّة التي توضّح طرق تفكيرنا، وكيفية فهمنا لأنفسنا وللعالم من حولنا، ومن هنا فإنّ دراسة اللغة ليست مقصودة لذاتها، بل متأتية من افتراض مفاده: أنّ البنية اللغويّة تعكس البنية التصوّريّة(إيفانز وجرين، 2017 (ب)، ص91). والتصوّر لا يتطابق والشيء المتصوَّر في العالم الخارجي بالضرورة، فتصوّرنا للعالم لا يحدث على نحو مباشر، بل من خلال عدسة تجسيدنا (التجسدembodiment)، فقد توصّلت الأبحاث إلى نتائج ترجّح كون معرفتنا بالعالم حادثة بتوسط طبيعة أجسادنا، ومن الأمثلة على ذلك تحديد أجسادنا لمعنى الجاذبية الذي لا تحدده للطائر مثلا (إيفانز وجرين، 2017 (أ)، ص53-56)

وعلم الدلالة العرفانيّ يدرس العلاقة بين البنية التصوّريّة والعالم الخارجيّ، ويؤكد أنّ اللغة تشير إلى تصوّرات المتحدّثين بها أكثر من إشارتها إلى العالم الخارجيّ(إيفانز وجرين، 2017 (ب)، ص81)؛ ذلك أنّ " البنيات اللغويّة امتداد منطقيّ للأنساق التصوّريّة المولّدة للتواصل والمسارات السلوكية. وعلى هذا النحو أضحت اللغة بمعطياتها المتنوّعة السند المهم لتحديد كيفية اشتغال النسق التصوري" (العاقد، 2006، ص48). وثمّة مقاربات متعدّدة ضمن علم الدلالة العرفانيّ، منها نظريّة التصوّرات المجازيّة، فقد لحظ أصحاب هذه النظريّة، وفق منطلقات منهجيّة تجريبيّة، أنّ اللغة العاديّة التي نتحدّث بها مجازيّة في الأغلب (لايكوف وجونسون، 2009، ص21-23)، فمثلًا نقول:

1. انتصرت عليه في الجدال.
2. هاجم جميع حججي.
3. فلان لم يدافع عن نفسه كما يجب.

هذه تعبيرات نستعملها في حديثنا اليوميّ العاديّ حول الجدال، وما يجمعها: كونها تحقّقات لغويّة لتصوّر مجازيّ في الذهن (الجدال حرب) بدليل أننا نستعمل ألفاظ الحرب(انتصر، هاجم، دافع) في أثناء الحديث عن الجدال. والمجازmetaphor بهذا المعنى هو فهم لمجال هدفtarget domain :الجدال، من خلال مجال مصدر source domain: الحرب(البوعمراني، 2009، ص253) عبر إسقاط عناصر من المجال المصدر على الهدف و" هذا الإسقاط ليس إسقاطا آليا فيه نُسقط جميع خاصّيات الميدان الهدف، إنّما هو إسقاط انتقائي(selective projection) ، فيه يقع التّبئير على خاصيّات دون أخرى، وهو بذلك إسقاط تتحكّم فيه الثّقافة التي تحدّد فهمنا للاستعارة وفهمنا للعالم" (البوعمراني، 2015، ص16). لهذه الملحوظات مترتبات مهمّة تتصل بكيفيّة فهمنا لتصوّر الجدال؛ لأنه يسلط الضوء على جانب واحد منه، وهو الجانب الذي يتعلّق بفكرة الانتصار والهزيمة بين ندّين، ولا يجعلنا ندرك الجدال بوصفه عملية إقناع وتفاهم مشترك، أي إنه لا يقدّم لنا المعنى الحقيقيّ للجدال، وإنما تصوّرنا نحن له. بناء على ذلك تعارض النظريّة القول بالحقيقة (الصدق) المطلق، وتدافع عن كون الصدق دائمًا نسبيّ بالنظر إلى نسق تصوّريّ ما، تتحكّم فيه تجربتنا، وثقافاتنا. (الجلاصي، 2009، 47-49).

نخلص من ذلك إلى ثلاثة أطروحات مركزيّة يتردّد طرحها في الدراسات المشتغلة بنظريّة التصوّرات

المجازيّة، وهي: اللغة اليوميّة مجازيّة، والمجاز ظاهرة فكريّة، وتصوّراتنا نسبيّة.

ويجدر بنا قبل البدء بالتطبيق الوقوف على طبيعة دراسة المجاز في هذه النظريّة، فقد فرّق لايكوف (G. Lakoff) بين مستويين للمجازات(لايكوف، 2015-2016، ص14، 15، 24، 25): المستوى الأوّل: العلاقة بين المجالين المصدر والهدف في النسق التصوّريّ، واصطلح عليه بالمجازmetaphor. والمستوى الثاني: التحقّق الظاهريّ للمجاز، واصطلح عليه بالتعبير المجازيّ metaphorical expression. وفي الوقت الذي تنصبّ فيه عناية النظريّات السائدة في المستوى الثاني، تتّجه عناية العرفانيّين إلى المستوى الأول (لايكوف، 2015-2016، ص14، 15، 24). وفي السياق ذاته يفرّق لايكوف بين إسقاط بنية التجربة، والإسقاط الخطاطي، على النحو التالي (مصمودي، 2017، ص146):

1. المجازات القائمة على إسقاط بنية التجربة: وفيه يجري إسقاط تصوّرات معروفة في التجارب الإنسانيّة كالحب والحرب والرؤية على تصوّرات أخرى.

2. المجازات القائمة على إسقاط الخُطاطة Schema الأساسيّة: وفيها يجري إسقاط خطاطة من الخطاطات على تصوّر ما، وتعرّف الخطاطة في المؤلفات العرفانية بأنها: عبارة عن وحدات معرفيّة تصورية مخزنة عبر الذاكرة طويلة المدى في علاقات معقدة، وتقوم بتنظيم مختلف مجالات الواقع على نحو متماسك (شفارتس، 2015، ص98). والفرق بين الخطاطات والصورة الذهنيةmental picture أنّ هذه الأخيرة أغنى في التفاصيل بينما الخطاطات فقيرة في هذا الجانب، ومن ثمّ فهي قابلة لملئها بتحقّقات عديدة (الزناد، 2010، ص165-168) ومثال ذلك أنّ مرورنا المتكرّر على المكتبات يكوّن في أذهاننا خطاطة عامة عن المكتبات من حيث هي مكان للقراءة، تنضّد فيه الكتب على نحو معين، وإذا زادت التفاصيل التي نحملها كطريقة تقسيم المكتبة، ونوع الأثاث المستعمل بها نكون بإزاء صورة ذهنية غنية عنها، تميز مكتبة عن أخرى لا خطاطة عامة تنضوي تحتها سائر المكتبات.

وبالنظر إلى هذين الإسقاطين تتفرّع الدراسة التطبيقيّة إلى إسقاط بنية التجربة على القول، والإسقاط الخطاطيّ عليه.

2. إسقاط بنية التجربة على القول:

يندرج البحث في تصوّر القول ضمن الكلام على الكلام الذي يقتضي الدخول فيه وعيًا بالحالة القولية، وهو وعي جدير بالفحص والنظر، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ جزء من منظومة المؤلفات العربيّة القديمة التي أسهمت في هذا الجانب، وقدّمت تصوّراتها حول القول، سواء من خلال أقوال الجاحظ نفسه، أو الأقوال التي يختارها ويوردها إن شعرًا، وإن نثرًا.

وللتصوّرات، بحسب الطرح العرفاني، جانبان: جانب حرفي محدود وفقير في دلالته، وجانب مجازيّ ثريّ، يغني التصوّر، ولا يكادان ينفكّان حتى تتعذّر ملاحظته على كثير منا (لايكوف وجونسون، 2016، ص191) ومن هنا فإنّ تصوّراتنا مجازيّة، وبناء على ذلك فإنّ التصوّر الحرفي للقول لا يتجاوز كونه أصواتًا ذات دلالة صادرة عن جهاز نطقي بشري. ويظلّ هذا التصوّر فقيرًا ومحدودًا ولا يغطي جميع جوانب تجربتنا مع القول وفهمنا له؛ لذلك تأتي تعبئته مجازيًّا من خلال تصوّرات أخرى تسقط عليه، فتعبيرات من مثل:

4. لا حدّ لكلامه.
5. لا تذهب بنا بعيدًا في كلامك.
6. لا تخرج عن خطوط الحوار.

هي تعبيرات يوميّة، غير أنّها صادرة عن مجاز(القول رحلة)، فلها حد(نهاية)، ومسار لا ينبغي الابتعاد أو الخروج عنه، وهو مجاز قابع في الذهن، ويحدّد تصوّرنا للقول، وتجربتنا له، وليس تجليًّا لغويًّا فحسب. وقد اشتملّت مدوّنة الدراسة على مجازات عديدة للقول، من أبرزها: القول حرب، والقول رؤية.

1.2. القول حرب:

تتعدّد التحقّقات اللغويّة التي تنضوي تحت التصوّر المجازيّ (القول حرب)، وفيما يلي عرض لنماذج من هذه التحقّقات، ثم دراسة التقابلات الأنطولوجيّة والإبستيميّة بين مجالَي المجاز (المصدر والهدف)، واستظهار الجوانب التي يبئِّرها التصوّر المجازيّ والجوانب الأخرى التي يخفيها.

1.1.2. التحققات اللغويّة (القول حرب):

يعرض الجدول أدناه نماذج من التحقّقات اللغويّة للتصوّر المجازيّ موثّقة بالجزء والصفحة من كتاب البيان والتبيين (الجاحظ، 1998) وبجوارها بيان بموطن المجاز، مع التأصيل المعجميّ لما يستدعي ذلك، من كتاب لسان العرب(ابن منظور، 1999).

الجدول(1) التحقّقات اللغويّة للتصوّر المجازيّ القول حرب

م	التحقّقات	موطن المجاز
1.	" ومماتنة العَيّ الحصِر للبليغ المصقَع، في سبيل مماتنة المنقطع المفحَم للشاعر المفلّق..." 12/1.	القول صقع وفلق. " صقعه...أي ضربه ببسط كفه... والصقع الضرب على كلّ شيء يابس"(مادة صقع). ومن معاني (فلق): " الشقّ" (مادة فلق).
2.	" والبيان اسمٌ جامعٌ لكلّ شيء كشَف لك قِناعَ المعنى، وهتَك الحِجاب دونَ الضمير، حتّى يفضيَ السّامعُ إلى حقيقته، ويَهْجُم على محصولِهِ كائنًا ما كان ذلك البيانُ..." 76/1.	القول هتك، وهجوم. " الهتك خرْقُ السِّتر عما وراءه... والهتْك أن تجذِب سترا فتقطعه من موضعه، أو تشقّ منه طائفة يُرى ما وراءه" (مادة هتك)." هجم على القوم... انتهى إليهم بغتة... والهجم: الهدم" (مادة هجم).
3.	"وهم يمدحون الحذقَ والرِّفق، والتخلُّص إلى حَبَّاتِ القلوب، وإلى إصابة عيون المعاني. ويقولون: أصاب الهَدَف، إذا أصاب الحقّ في	القول إصابة. الإصابة من الألفاظ الدارجة في المعجم القتالي، فيقال: "أصاب السَّهمُ القِرْطاسَ إذا لم يُخطِئ"(مادة صوب).

م	التحقّقات	موطن المجاز
	الجُملة. ويقولون: قَرطَس فلان، وأصاب القِرطاسَ إذا كان أجودَ إصابةً من الأوّل. فإن قالوا رمى فأصاب الغُرَّة، وأصاب عين القِرطاس، فهو الذي ليس فوقه أحد"147/1.	"القرطاس أديم ينصب للنضال، ويسمّى الغرض قرطاسًا. وكلُّ أديم يُنصب للنضال، فاسمه قِرطاس، فإذا أصابه الرامي قيل: قَرْطَس... والرمية التي تصيب مُقَرْطِسة"(مادة قرطس).
4.	"...ومن ذلك قولُهم: فلان يفُلُّ الحزَّ، ويصيب المَفْصِل"147/1.	القول إصابة.
5.	يقول طرارة بن جزء (من الطويل):148/1 فَقُلْتُ لهُ قَوْلا أَصابَ فؤادَه وبعضُ كلامِ الناطقينَ غرورُ	القول إصابة.
6.	يقول عبدقيس البرجمي(من المتقارب): 159/1 وأَصْبَحْتُ أعدَدْتُ للنائبا تِ عِرضًا بريئًا وعَضْبًا صقيلا ووقعَ لسانٍ كحدّ السنا نِ ورمحًا طويلَ القناةِ عَسُولا	اللسان سنان. " السنان: سنان الرمح" (مادة سنن).
7.	يقول الأعشى (من الطويل): 159/1 وأدْفَعُ عن أعْراضِكُمْ وأُعيرُكُمْ لِسانًا كمقراضِ الخفاجيّ مِلْحَبا	اللسان مقراض– " القرض: القطع". (مادة قرض). " اللبَح: الشجاعة" (مادة لبح).

يحدث التقابل بين عناصر المجال المصدر (الحرب)، وعناصر المجال الهدف (القول) في مستويين (لايكوف، 2012، 340/1):

-التقابل الأنطولوجي: وفيه تقابل الكيانات بين المجالين.

-التقابل الإبستيميّ: تقابل فيه الخبرات الخاصّة بالمجال المصدر خبرات المجال الهدف.

2.1.1.التقابل الأنطولوجي:

يتكوّن الحرب أنطولوجيًّا من: أطراف متحاربة، وسبب للحرب، وأسلحة، وميدان للحرب، ويقابلها في المجال الهدف على الترتيب: المتكلّم والمستقبِل فردًا كان أم جمهورًا، اختلاف أو خصومة، أساليب قولية، القول. وبيان ذلك في الشكل(1) التالي:

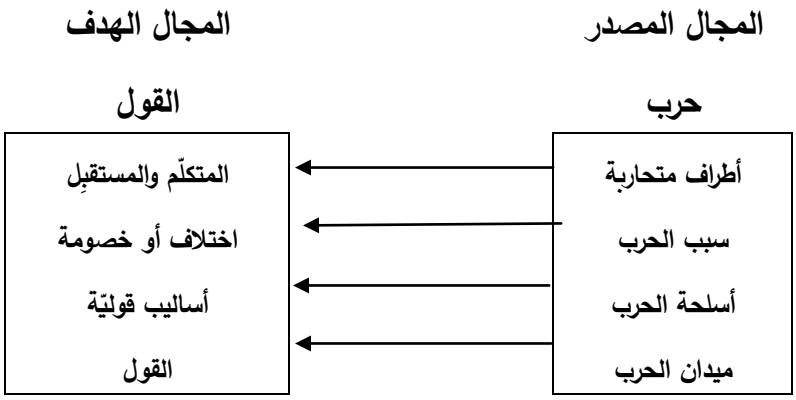

الشكل(1): التقابل الأنطولوجيّ(القول حرب).

3.1.2. التقابل الإبستيميّ

ينبني على التقابل الأنطولوجي تقابلٌ على مستوى المعارف المتعلّقة بين المجالين، وانتقال الخبرة الخاصة بتجربة الحرب إلى القول، ويمكن إيضاح ذلك من خلال الجدول(2):

الجدول(2): التقابل الإبستيميّ(القول حرب).

المجال المصدر(الحرب)	المجال الهدف(القول)
تستهدف الحرب القضاء على الخصم أو إضعافه.	يهدف القول إلى إفحام الخصم وإعدامه قوليًّا(إصماته).
الحرب بطولة وشجاعة في تصوّر القدماء.	القول شجاعة وقوّة؛ ولهذا يتطلّب رباطة جأش، فقالوا: إنّ "أوّل البلاغة اجتماع آلة البلاغة. وذلك أن يكون الخطيبُ رابطَ الجأش". (الجاحظ، 1998، 92/1).
الحرب حاجة، ومن ضروريّات حياة العربيّ القديم، فبها يحمي نفسه من الأخطار، ومن الممكن جدًّا أن تقوم الحروب لأجل نزاع على طعام وشراب أومال(الغذامي، 2012، ص145، 146).	القول حاجة، وهذا ما يلحّ عليه كتاب الجاحظ في مواضع عديدة، ينظر على سبيل المثال (الجاحظ، 1998، 58/1، 271).
يحقّق الانتصار في الحرب سيادةً وتنفُّذًا لأصحابة، والهزيمة بالعكس.	القول والسلطة صنوان، فأصحاب السلطات تُهيَّأ لهم المنابر، ويسوسون بالقول كما يسوسون بالفعل. ومن الشواهد على هذه الرابطة بين القول والسلطة ما نقله الجاحظ عن قول أحدهم: " أبي الذي قاد الجيوشَ، وفتح الفتوحَ، وخَرَجَ على الملوكِ، واغتصب المنابر" (الجاحظ، 1998، 106/1).
الحرب تتطلّب سياسة وتخطيطا.	القول سياسة، حتى أنّ " سياسة البلاغة أشدّ من البلاغة" (الجاحظ، 1998، 197/1).

المجال المصدر(الحرب)	المجال الهدف(القول)
الحرب مشقّة، وتتطلّب جُهدًا عاليًا.	القول الجيد يتطلّب جهدًا وإعدادًا ومكابدة.
الحرب مقام مهيب.	القول أهوال، يقول الجاحظ" وقد جرى شيءٌ من ذكر الخُطَبِ وتحبيرِ الكلامِ واقْتِضابِه، وصعوبة ذلك المقام وأهواله"(الجاحظ، 1998، 44/1).

يعكس اطّراد التحقّقات اللغويّة للمجاز (القول حرب) نسقًا تصوريًّا منسجمًا، وهذه النسقيّة systematicityتسمح بتكثيف النظر إلى مكوّنات معيّنة في التصوّر، وتعشي النظر عن سمات أخرى لا تتوافق معها، وذلك ما يسمّيه لايكوف وجونسون بتسليط الضوء والإخفاءHighlighting and hiding. ومن هنا فإنّ تصوّراتنا نسبيّة يحدّدها نسق تصوّري له طبيعة مجازيّة تظهر جانبًا وتخفي جوانب أخرى(لايكوف وجونسون، 2009، ص29، 181).

4.2.1. تسليط الضوء والإخفاء

يسلّط المجاز التصوّريّ (القول حرب) الضوء على مظاهر معيّنة في تصوّرنا للقول، من أبرزها أنّه يقوم بين طرفين متنافرين، وبهذا يعيد صياغة أطراف العمليّة الكلاميّة (المتكلم، والمستقبل) فيحوّلهما إلى (محارب وخصم)، ويحدّد وظائفهما وفْقًا لذلك، مثلما يظهر في التحقّقات السابق عرضها، وفيها أنّ:

- القائل: يصقع/ يفلق(1)، يصيب(3-5)، يوقِع واقعةً(6)، يدافع(7).
- المستقبل: أ) موقف قوّة: يهجم(3).

ب) موقف ضعف: مصقوع، ومفلوق(1)، مصاب(3-5)،...إلخ.

وإذا سلّمنا أن المجاز عمليّة تصوريّة وليست لغويّة محضة فإنّ التصوّر، بدوره، سينعكس على التجربة والسلوك، ومن ثمّ فتكريس الطابع الحربيّ في الخطاب يضعف من حياديّة القول والاستقبال، وستكون الفرصة سانحة، حينئذ، لأن يحمل الخطاب أيديولوجيّات قائليه ويرتفع منسوب الذاتيّة فيه.

وانحسار غاية الخطاب بوجود طرف منتصر وآخر منهزم ورأي صحيح وآخر خاطئ، سيغيّب المظاهر النسبيّة في القول، والآراء المحتملة للصواب والخطأ، ويقلل من فرص التعايش والتعدّديّة غير المتنافرة؛ إذ لا تسمح هذه البنية التصوّريّة بالانفتاح على الآخر أو تقبله دون رغبة ملِحّة في إرغامه على الاقتناع أو سحقه، ولذلك تنشط خطاطة (فوق- تحت) بنشاط النسق القائم على النصر والهزيمة، بوجود طرف معتلٍ

وآخر مستفل، وتأتي أوصاف المتحدّث الجيد بصفات العلو، مثلما في:" أرفعهم في البيان منزلة" (الجاحظ، البيان والتبيين، 1998، 29/3)، و"يفوق كلّ خطيب"(الجاحظ، 1998، 113/1).

ومن منطلق هذه البنية التصوّرية القائمة على ارتباط القول بالعلو والاستفال يفهم ابن المقفّع ما يروى عن عمر بن الخطاب أنه قال" ما يتصعَّدني كلامٌ كما تتصعّدُني خُطْبة النكاح"، فقال[أي ابن المقفّع] حينما سئل عنه: "ما أعرفه إلا أن يكون أراد قُرْب الوجوه من الوجوه، ونَظَر الحِداق من قُرْبٍ في أجواف الحِداق. ولأنّه إذا كان جالسًا معهم كانوا كأنّهم نُظَراءُ وأَكْفاءٌ، فإذا علا المِنبر صاروا سوقةً ورَعيّة"."(الجاحظ، 1998، 117/1). ويعني ذلك أنّ الارتفاع من دواعي التمكّن من القول، وبقدر النزول عن هذه المرتبة يتصعّد الكلام، ويعزّز هذا من الطبقيّة في الخطاب بجعل الأطراف عالية وسافلة، منتصرة أو مهزومة أو مذعنة في أحسن الأحوال، لا متناظرة ومتحاورة. وإلصاق هذه التأويلات برموز دينيّة متَّبعة لا يكشف عن تجاسر عليها بقدر ما يفصح عن تمكّن البنية التصوّريّة واستحكامها في فهمنا للتصوّرات المرتبطة بالقول.

2.2. القول رؤية:

1.2.2. التحققات اللغويّة(القول رؤية):

من التصوّرات المجازيّة البارزة في المدوّنة(القول رؤية)، وفيما يلي عرض لنماذج من تحققاتها، مع التوثيق بالطريقة السالفة في مجاز(القول حرب):

الجدول(3) التحققات اللغوية للمجاز التصوّري القول رؤية.

م	التحقّقات	موطن المجاز
1.	"والبيان اسمٌ جامعٌ لكلّ شيء كشَف لك قِناعَ المعنى" 76/1.	القول بيان، وكشف. "والبيانُ: ما بُيّنَ به الشيءُ من الدلالة وغيره. وبانَ الشيءُ بيانًا: اتَّضَح" (مادة بين).
2.	" والدَّلالة الظاهرةُ على المعنى الخفيّ هو البيانُ"75/1.	القول ظهور وبيان.
3.	" وقالوا: البيان بَصَرٌ والعِيُّ عمًىكما أنّ العلم بصرٌ والجهلَ عمى. والبيان من نِتاج العِلم، والعِيُّ من نِتاج الجهل" 77/1.	القول بصر.
4.	" قال ثُمامة: قلت لجعفر بن يحيى: ما البيان؟ قال: أن يكون الاسمُ يحيط بمعناك، ويجلّي عن مغزاك"106/1.	القول بيان، وجلاء.
5.	يقول أحدهم (من الرجز): أعوذُ باسمِ الأعزّ الأكرم* مِن قَوليَ الشيء الذي لم أَعْلَمِ* تخبّط الأعمى الضرير الأيهَم 110/1.	القول بصر.

م	التحقّقات	موطن المجاز
6.	"حدثني صديق لي، قال: قلت للعتّابيّ: ما البلاغة؟ قال: ... فإظهارُ ما غمُض من الحقِ، وتصويرُ الباطل في صورة الحقّ"113/1.	القول إظهار، وتصوير، وصورة.
7.	سئل أحدهم: ما البلاغة؟ فقال: ما بلغ بك الجنّة، وعدل بك عن النار، وما بصّرك مواقع رشدك وعواقب غيّك"114/1.	القول بصر.

تكشف التحقّقات اللغويّة عن تصور للقول مرتبط بالحقل الدلالي للظهور والخفاء، وكان ذلك من خلال التصوّر المجازي(القول رؤية)، فما هو مرئيّ ظاهر، وما سواه خفيّ، ويكون ذلك بواسطة وسيلة كاشفة عن الشيء المرئيّ، وتتضح عناصر المجاز في الفقرة أدناه.

2.2.2 التقابل الأنطولوجي:

يتكوّن مجال الرؤية من ثلاثة عناصر، هي: الرائي، والمرئي، وعضو الرؤية وهو العين، ويقابلها في المجال الهدف: القائل والمقول واللسان، ويظهر ذلك في الشكل(2):

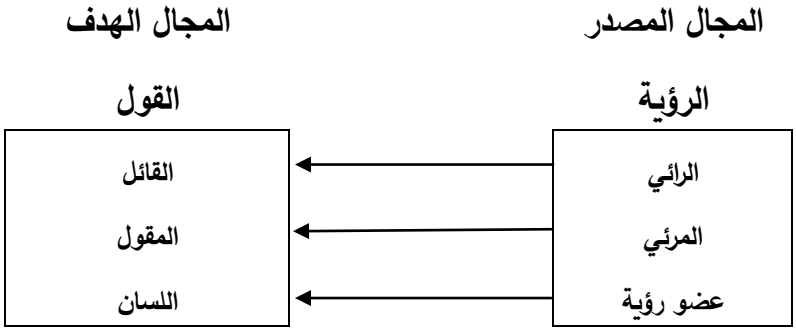

الشكل(2): التقابل الأنطولوجيّ(القول رؤية).

3.2.2. التقابل الإبستيميّ:

يتعمق التقابل الأنطولوجي من خلال التقابل الإبستيمي الذي يوفّر للمجال الهدف معارف وخبرات من المجال المصدر، وتكشف المدوّنة عن عدد من هذه المعارف، على النحو الوارد في الجدول (4):

الجدول(4): التقابل الإبستيمي(القول رؤية).

المجال المصدر(الرؤية)	المجال الهدف(القول)
الرؤية من مصادر إدراك الكون، فالبصر من الحواسّ عالية الوثوقيّة، ولهذا ترتبط الرؤية بالمعرفة.	القول مرتبط بالإدراك والمعرفة، ويظهر ذلك بشكل جليّ في الشاهدين (3)، و(5).
الرؤية متفاوتة قوة وضعفا.	الناس درجات في القول، فمنهم من يحسن ومنهم من يحسن بدرجة أكثر أو أقل.
الرؤية السليمة سبب في الوصول إلى الغاية المبتغاة.	ينشد القول غايات محددة، تجعل صاحبها دائم البحث عما يصل به إلى مراده. وفي ذلك أورد الجاحظ عن بعض أهل الهند أنّهم قالوا: " جماع البلاغة البصر بالحجّة، والمعرفة بمواضع الفرصة" (الجاحظ، 1998، 88/1).

4.2.2. تسليط الضوء والإخفاء

يقابل (الرؤية، والبيان الظهور(1) والوضوح والجلاء(4)، والكشف(1)) حقل دلالي مواز يشمل (العمى(5)، الغموض والإلباس، والتغطية)، والقول قائم على نسقي الإظهار والإخفاء، ويكون التقابل بينهما من جهتين:

- إظهار أمر ما يعني أنّ أصله الخفاء.
- إيضاح أمر ما قوليًّا يقتضي، بالضرورة، تغطية أمر آخر، أو عدم تسليط الضوء عليه.

والتركيز على الجانب المتعلّق بالإظهار والإخفاء يسلّط الضوء على الجوانب المتصلة بشكل الظهور، وفي هذا السياق يتنزّل مصطلح الصورة، والتصوير، فالبلاغة عند العتّابي(6)" إظهار ما غمُض من الحقِّ، تصوير الباطل في صورة الحقّ"، أي أنّ ما يظهر ليس حقيقيًّا وواقعيًّا دائمًا، بل هو صورة تصنع صناعة، وقد تقصر المسافة بينها وبين الواقع أو تطول، بل إنّ القول البليغ يتميّز بقدرته على تمويه الحدود بين الحقّ والباطل كما في نصّ العتّابي، وهذا يعني أنّ القول ضرب من الهيمنة على الواقع إذ يغطّي مالا يراد، ويظهر ما يراد على النحو الذي يراد. ومن هنا ندرك أنّ الإظهار والإخفاء في القول البليغ عمليّة واعية، تتمّ بانتقائيّة معيّنة تخدم وجهة صاحبها وغاياته.

إنّنا لا نستطيع أن نفكر بالواقع دون المجازات، بيد أن تلك المجازات قد تكون مبنية على تحوير معين للواقع وقد لا تطابقه، وفي هذه الحالة يحتفظ الذهن بالمجازات والأطر

ويغيب الواقع، هذه هي سلطة المجازات، إنها قادرة على الانتصار على الواقع وكبحه تحت أجندتها، إنها تفعل وتتآمر مع الذهن على صاحبه، و"من بين النتائج الأساسية التي توصل إليها علم النفس المعرفي أن الناس يفكرون من خلال الأطر والاستعارات؛ أي بنيات تصورية شبيهة بتلك التي قمت بوصفها في هذه المقالة. توجد الأطر في نقط الاشتباك العصبيsynapses لأدمغتنا، إنها حاضرة فيزيائيا على شكل دورة عصبية. عندما لا تطابق الوقائعُ الأطرَ، تظل الأطر وتُتَجاهل الوقائع" (لايكوف، 2005، 72).

والبيان يكون في النطق(الظهور) مثلما يكون في الصمت(الخفاء)، بل هو في الثاني أجدر بالدراسة لعدم وضوحه، ودقّة مراميه، ولهذا يقول الجاحظ: "وإنّما حثُّوا على الصّمت لأنّ العامة إلى معرفة خطأ القول، أسرع منهم إلى معرفة خطأ الصمت. ومعنى الصامت في صَمته أخفى من معنى القائل في قوله؛ وإلا فإنّ السكوت عن قول الحقّ في معنى النطق بالباطل. ولعمري إنّ الناس إلى الكلام لأسرع؛ لأنّ في أصل التركيب أنّ الحاجة إلى القول والعمل أكثر من الحاجة إلى ترك العمل، والسكوت عن جميع القول" (الجاحظ، 1998، 271/1) ومن هذا النص نصل إلى أن الصمت مقصود، وذو معنى، لكنّ معناه خفيّ، والسمات البلاغيّة التي تسري على النطق تسري عليه. من جهة أخرى يكون الإظهار من المتكلِّم للمستقبِل، ويكون من المستقبِل في الحالة التي يستظهر فيها ما يخفيه المتكلِّم، ويبرز ذلك في مجال الخصومة، ويتغيّر، حينئذ، معنى التصوير بما يحمله من دلالة جماليّة متقنة، إلى معنى آخر هو(القناع) بما توحي به دلالته من الزيف وسهولة الوقوع، وهذا ما يظهر في قول الجاحظ حال حديثه عن منهجه في الرد على دعاوى الشعوبيين: "... كنت بدأت بالرد عليهم، وكشف قناع دعواهم" (الجاحظ، 1998، 6/2). وبناء على ذلك يمكن أن نضع التخطيط التوضيحي التالي:

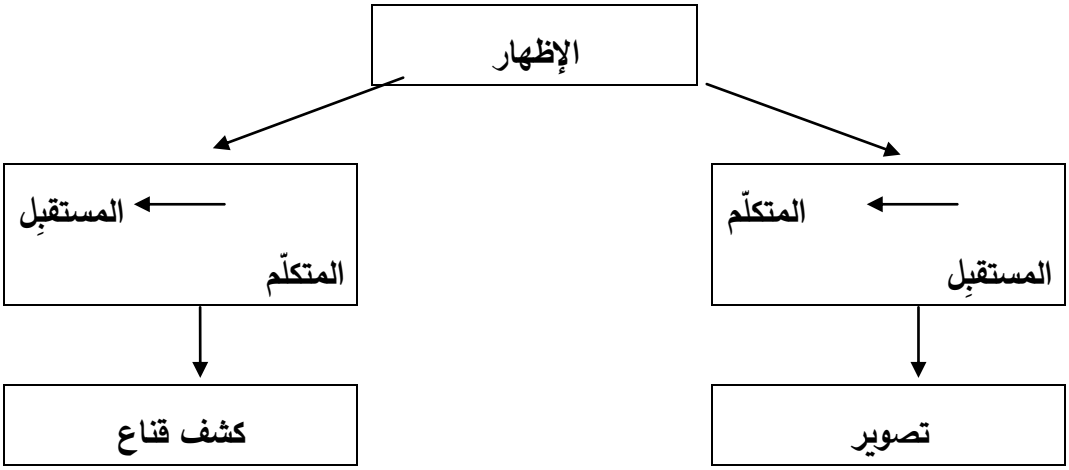

الشكل(3) الإظهار بين المتكلّم والمستقبل.

يوضّح هذا التخطيط أنّ الإظهار في الحالة الطبيعية للكلام تكون وجهته من المتكلّم إلى المستقبِل، وفي الحالة السجاليّة ينعكس الاتّجاه فيقوم المستقبِل بإظهار ما أبطنه المتكلِّم، ويسمّى ما أظهره المتكلِّم في هذه الحالة قناع، بينا هو في الحالة الأولى تصوير.

إنّ الحرب والرؤية مظهران لتصوّر واحد، وهو القول، كلّ منهما يبئِّر جوانب معيّنة فيه، ويسمح بالتركيز عليها دون غيرها، غير أنّ ذلك لا يحول دون تحقّق الانسجام بين المظهرين، فالحرب تتطلّب رؤية، والإصابة والصقع، والرمي لا تكون إلا من خلال آلة البصر.

3. الإسقاط الخطاطيّ:

1.3. إسقاط خطاطة الميزان على القول:

يملك الميزان بنية تأسيسيّة يستقيها من تكويننا الجسديّ، ويحدث بصورة تلقائية ولا واعية، فلا نلحظه إلا في الحالات التي يظهر فيها اختلاله، كارتفاع الحرارة، وانخفاض السكر، أو ارتفاع الضغط، الأمر الذي نسعى معه جاهدين إلى إعادة الجسم إلى توازنه الطبيعيّ، حيث لا ارتفاع ولا انخفاض، لازيادة ولا نقص (البوعمراني، 2009، ص93) وهذه الأمور تدل على وجود نقطة معيّنة تمثّل المركز الذي تنجذب إليه القوى وابتعادها عنه يعدّ اختلالًا (موقو، 2014، ص153-155).

جدير بالذكر هنا أنّ الميزان لا يملك وجودًا موضوعيًّا أو ماديًّا دائما، بل هو خبرة متراكمة في الذاكرة طويلة المدى، ونسعى لافتراض وجودها؛ لنحدّد جهات الأشياء ومساراتها، وقد برهن على ذلك رودلف أرنهيم (R. Arnheim) من خلال رسم مربّع في داخله دائرة كما في الشكل (4) التالي:

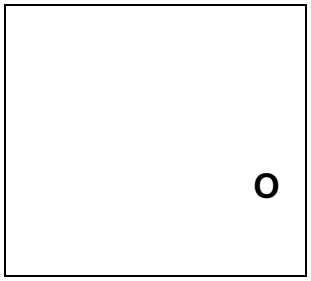

الشكل(4) مركز الميزان الافتراضي في تجربة رودلف.

يدرك الناظر في هذا الشكل تلقائيًّا أنّ الدائرة حائدة عن الميزان، بالرغم من عدم وجود نقطة مرئية تمثّل الميزان؛ الأمر الذي يعني أنّ أذهاننا، بناء على ضغوطات خطاطة الميزان، تسعى لاستكمال العنصر الناقص الذي يمثّل مركز المربّع (موقو، 2014،

ص154). وبهذا المعنى يعدّ الميزان" بنيةً خفيّةً أو قالبا متكرّرا يضفي الانسجام على تجاربنا ويجعلها ذات دلالة. وتظهر تلك البنية للعيان من خلال أحداث بسيطة مثل أن تزلّ قدمنا وتقع فيصبح التّوازن ملاحظا بسبب افتقادنا إليه. وعندما ننهض، نكون قد أعدنا جسدنا إلى استقامته النموذجيّة، ويمثّل النهوض في هذه الحالة، استعادة لتوزيعٍ أوّل للقوى والأوزان قياسا إلى محور عموديّ متخيّل" (موقو، 2014، ص153). وفي السياق ذاته يلفت رودلف النظر إلى أنّ الأشياء تبدو متوازنة أو غير متوازنة بحسب رؤيتنا لها، لا بحسب توازنها الموضوعيّ، مثلما يظهر في الشكل(5):

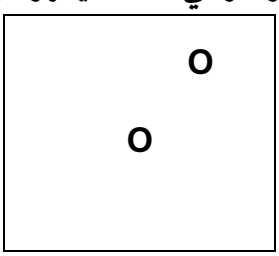

الشكل(5) التوازن اللاموضوعيّ.

فالشكل هنا لا يبدو متوازنًا بشكل عام، فإذا صار التركيز على الدائرة الثانية بمفردها سنلحظ توازنًا (البوعمراني، 2009، ص94)، ومن هنا فالتوازن مفهوم نسبيّ، وخاضع لتجاربنا والزاوية التي ننظر من خلالها، وتتنوّع نماذجه، وهي على درجة من التعقيد يتعذّر معها ضبط جميع أشكالها. غير أنّ مارك جونسون(M. Johnson) قدّم رسما طرازيًّا لها يتمثّل في الشكل (6) أدناه (البوعمراني، 2009، ص96):

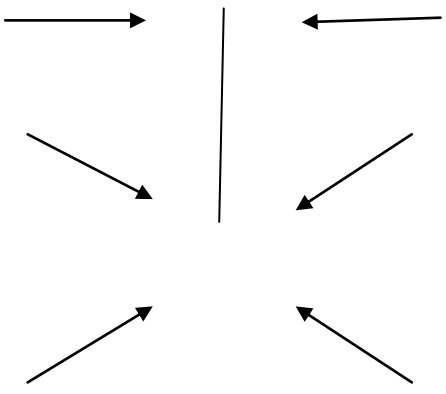

محور الميزان

الشكل(6) الشكل الطرازيّ لخُطاطة الميزان.

ومن أشكال خطاطة الميزان البارزة: ميزان العدل، الذي يتمثّل في كفتين يتوسّطهما الشيء الموزون. وهذه الخطاطة وإن اكتسبت وجودها وترسّخها من خلال

أجسادنا، وتجاربنا الفيزيائية المباشرة فإنّها تسقط عبر المجاز على تجاربنا المجرّدة، فنصبح بإزاء اتّزان عاطفي، واجتماعيّ، وفكريّ وغير ذلك (البوعمراني، 2009، ص99-101) وجرى إسقاط الخطاطة على تصوّر القول في المدوّنة على نحو واسع، ومن النماذج على ذلك ما يلي:

الجدول(5) التحققات اللغوية لخطاطة الميزان

م	نماذج من التحقّقات اللغويّة	موطن المجاز
1.	" وليس الخطل يوم إطالة الخُطبة، بأعظَم مما يحدُث عن العيّ من اختلال الحجّة، وعن الحصَر من فوت دَرَك الحاجة" 12/1.	القول نقص وزيادة. الخَطل: " الطول والاضطراب... والخطل: التلوي والتبختر، وقد خطِل في مِشيته" (مادة خطل). العي والحصر فيهما معنى النقص، العيّ: " عيّ بالأمر... عجز عنه ولم يطق إحكامه...وعَيِي في المنطِق عِيا: حَصِر، وأعيا الماشي: كلّ" (مادة عيي). الحصر: " الحَصَرُ: ضرب من العِي... والحَصَر: ضيق الصدر" (مادة حصر).
2.	" للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، وما فَضَل عن قدْر الاحتمال ودعا إلى الاستثقال والملال، فذلك الفاضل وهو الهَذَر، وهو الخَطَل، وهو الإسهاب الذي سَمِعْتَ الحكماءَ يعيبونه" 99/1.	القول مقدار، طول وقصر. الفضل: " ضدّ النقص" (مادة فضل). قدر: " قدْرُ كل شيء ومِقداره: مِقياسه" (مادة قدر). الهذر: " الكثير الرديء" (مادة هذر). الإسهاب: السهب: السعة، وشدة الجري، والإكثار. (مادة سهب).
3.	" تجد اللفظة لم تقع موقعها، ولم تصر إلى قرارها وإلى حقّها من أماكنها المقسومة لها، والقافية لم تحلّ في مركزها وفي نصابها، ولم تتصل بشكلها، وكانت قلقةً في مكانها" 138/1.	القول نصاب. النصاب: " الأصل والمرجع... والنصاب من المال: القدر الذي تجب فيه الزكاة إذا بلغه" (مادة نصب).
4.	" ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلامًا، ولكلّ حالة من ذلك مقاما، حتى يقسّم أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات" 148/1، 139.	القول مقدار، وميزان، وقِسمة.
5.	"...وإنما وقَعَ النهيُ على كلّ شيء جاوَزَ المقدار، ووقع اسم العيّ على كل شيء قصَّر عن المقدار. فالعيُّ مذموم والخطَل مذموم، ودينُ الله تبارك وتعالى بين المقصِّر والغالي" 202/1.	القول تجاوز وتقصير.
6.	" ويذكرون الكلام الموزونَ ويمدحون به، ويفضِّلون إصابة المقادير، ويذمُّون الخروجَ من التعديل" 227/1.	القول ميزان، ومقدار.
7.	"...وفي الاقتصاد بلاغ، وفي التوسُّط مجانبة للوعورة... وليكن كلامك ما بين المقصّر والغالي" 255/1.	القول توسّط.

يتّضح من الشواهد أعلاه ارتكاز معيار الكلام الجيد إلى تصوّر المقدار، وهو تصوّر يستمدّ أسسه من طبيعتنا الجسديّة، وتجاربنا الفيزيائيّة، ولا يتّضح إلا من خلال

نقيضه، فأقرب تقديم له أن يقال: هو عدم النقص، وعدم الزيادة؛ ولهذا تتجاور في المدوّنة ألفاظ من قبيل(الخطل، العي(1)، فضل، قدر(2)، مقصّر، غالي(5)...إلخ).

ويمكن أن نضع شكلا توضيحيًّا لتصوّر المقدار في المدوّنة بما يلي:

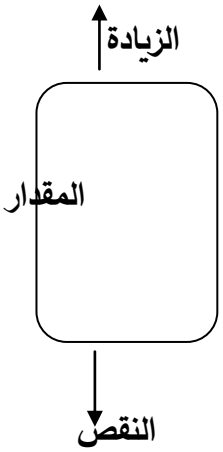

الشكل(7) خطاطة الميزان في البيان والتبيين.

بناء على ما تقدّم، يمكن القول إنّ هناك ثلاثة عناصر تمثّل البنية الداخليّة لخطاطة الميزان في المدوّنة وهي:

أ) المقدار: ويسمّى أيضًا القَدْر(2،4،6)، الموقع والقسمة، والمركز، والنصاب(3)، والميزان(6).

ب) ما يزيد عن المقدار: وتعبّر عنه ألفاظ من نحو: خطل(1)، فضل، وهذر، وإسهاب(2)، غلو، مجاوزة(5)، خروج(6).

ج) ما ينقص عن المقدار: ويعدّ ذلك عيّا، وحصرا(1)، وقصورا(5).

والزيادة هنا لا تعني الكمال، والنقص لا يعني الإيجاز، بل كلاهما يدلّ على الاختلال(1)، والقلق(3)، ويذمّ صاحبهما، وتجدر الإشارة إلى أنّ المقدار نفسه غير ثابت، ويتغيّر بتغيّر المعاني، والمستمعين والحالات(4)، وتبرز حينئذ أوصاف من مثل عامّة، وخاصّة، ونحو ذلك مما يقسّم الناس إلى طبقات، " نحن نحدد مكان الأشياء من حولنا حسب ما تعنيه لنا أو بحسب أهميتها بالنسبة لنا، حيث نعتبر أنفسنا مركز الكون، وكل شيء من حولنا نراه حسب وجهة نظرنا"(التميمي، 2013، ص3) .

هذا يعني أننا أمام تصور نسبي للحقيقة. وفي هذا الشأن يقول الجاحظ معقبا على صحيفة بشر بن المعتمر التي تؤكّد مراعاة المقامات وأحوال المستمعين: " وإذا سمعتموني أذكُر العوام فإنّي لست أعني الفلاحين والحُشوَة والصُّنّاعَ والباعة، ولستُ أعني أيضًا الأكرادَ في الجبال، وسكّان الجزائر في البحار، ولست أعني من الأمم مثل

الببر والطِلسان، ومثل مُوقان وجِيلان ومثل الزنج وأشباه الزنج. وإنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع: العرب، وفارسُ، والهند، والرّوم. والباقون همجٌ وأشباه الهمج. وأما العوامّ من أهل ملّتنا ودعوتنا، ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا، فالطبقة التي عقولُها وأخلاقُها فوق تلك الأمم ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا. على أنّ الخاصّة تتفاضل في طبقات أيضًا" (الجاحظ، 137/1) يقسّم الجاحظ، في هذا النصّ، الناسَ بلاغيًّا إلى طبقات:

- **الأولى: الخاصة.**
- **الثانية: العامة.**
- **الثالثة، خارج التصنيف: الهمج.**

ويؤكد أنّ عامّة العرب، خير من خاصّة غيرهم، وأنّ السواد الأعظم من الأمم ممن ليسوا عربا ولا هنودًا ولا فرسًا ولا رومًا هم همج خارج إطار البلاغة. ويعني ذلك أنّ مفهوم الميزان مفهوم نسبيّ يتحدّد من خلال وجهة نظر من يطرحه ويؤسّس له، ويخضع للهيمنة التي يتمتّع بها، فيجعل من نفسه مركزًا ما خرج عنه فهو هامش.

2.3. إسقاط خطاطة المسار على القول

تشتغل خطاطة المسار في تكويننا الجسديّ، مثلما تشتغل في تجاربنا، ويمثّل مسار الماء من الفم إلى المثانة نموذجًا جسديًّا لخطاطة المسار، ذلك أنّها تبدأ بنقطة، وتنتهي بأخرى مرورًا بمجموعة من النقاط، وتنخرط تجاربنا في مسارات فيزيائية متعددة، كالمسار من المنزل إلى المسجد، ومن المنزل إلى العمل، ومن الغرفة إلى المطبخ...إلخ. ومهما تعدّدت المسارات فإنّها تشترك في بنية جشطلتيّة واحدة، تتمثّل في ثلاثة عناصر: نقطة الانطلاق، محطات عبور، نقطة النهاية. ويمثّل لها جونسون بالشكل التالي (البوعمراني، 2009، ص102):

أ_____ب

نقطة الانطلاق المسار نقطة النهاية

الشكل(8) خطاطة المسار.

وقد يكون المسار ذا وجود فيزيائيّ، وقد يكون مسارًا تجريديًّا مفترضًا، ويقتضي منطق الخطاطة أن الانطلاق من(أ) إلى (ب) يستلزم المرور بكلّ النقاط من (أ- ب) (الزناد، 2010، ص171). وتتعدد إسقاطات الخطاطة المجازيّة، ومنها في هذه المدوّنة خطاطة(القول مسار)، التي تنتشر على نحو واسع في المدوّنة، على

مستوى المصلحات الرئيسة، وعلى مستوى الجمل الشارحة، ومن النماذج على ذلك ما يلي:

الجدول(6) التحققات اللغوية لخطاطة المسار.

م	نماذج من التحقّقات اللغويّة	موطن المجاز
8.	من المصطلحات الواردة في المدونة: البلاغة والبليغ والبلوغ 113/1. الخطل، العيّ12/1. الطلاقة191/1. التعتعة65/1.	القول بلوغ، وسير. بلغ: " بلغ الشيءُ...: وصل وانتهى" (مادة بلغ). طلاقة: " الانطلاق: الذهاب"(مادة طلق). التعتعة: " الحركة العنيفة، وقد تَعْتَعَه إذا عتَله وأَقْلَقَه... تعتعتُ الرجلَ وتَلْتَلْتُه: وهو أن تُقْبِلَ به وتُدْبِر به وتُعَنِّف عليه في ذلك"(مادة تعتع).
9.	" إيّاك والتوعّر"136/1.	القول طريق. وعر: " الوَعْرُ: المكانُ الحَزْنُ ذو الوعورةِ ضدّ السَّهل"(مادة وعر).
10.	قال رجل من بني منقر: أجاب أعرابيّ خالدًا بن صفوان" فأجابه بكلامٍ ودِدتُ والله أنّي كنت مُتُّ وأنَّ ذلك لم يكُنْ، فلمّا رأى خالدٌ ما نَزَلَ بي قال: يا أخا مِنقر، كيف نُجاريهم وإنّما نحكيهم، وكيف نُسابقُهم وإنما نَجري على ما سبَقَ إلينا من أعراقِهم"173/1.	القول طريق، سباق، مجاراة. "النزول: الحلول"(مادة نزل).
11.	" وكانوا يأمرون بالتبيُّن والتثبّت، وبالتحرز من زَلَلِ الكلام، ومن زَلَل الرأي، ومن الرأي الدَبَرِيّ. والرأيُ الدَّبرِي هو الذي يَعرِض من الصَّواب بعد مُضيّ الرأي الأوّل وفَوتِ استدراكِه"197/1.	القول طريق، ذهاب وإدبار. الزلل: " زل:.. زلِق"(مادة زلل). الدبريّ: " دبر كلّ شيء عقبه ومؤخره"(مادة دبر)، وهو الرجوع إلى الوراء مثلما يفهم من النص. مضيّ: " مشى الشيء...: خلا وذهب"(مادة ذهب).
12.	" وإن كنتَ ذا بيان وأحسستَ من نفسك بالنفوذ في الخطابة والبلاغة، وبقُوّة المُنّة يوم الحَفْل، فلا تُقصِّرْ في التماس أعلاها سُورة، وأرفِعها في البيان منزلةً، ولا يقطَعَنَّك تَهْيِيْبُ الجُهلاء، وتخويف الجُبَناء..." 200/1	القول طريق فيه قُطّاع طرق.
13.	" فأمّا الخُطب فإنّا لا نعرف أحدا يتقدّم الحسنَ البصريّ فيها، وهؤلاء وإن لم يُسَمّوا خطباء فإنّ الخطيبَ لم يكن يشُقُّ غبارهم" 354/1.	القول سباق.
14.	قال عبدالملك بن مروان: " لو ألقيت الخيزرانة من يدي لذهب شطر كلامي"119/3.	القول سير.

تعكس التحققات الواردة بنية منسجمة لتصوّر القول بما هو مسار، له نقطة بداية تمثّل مركز الانطلاق، ويعدّ الوصول امتيازًا قوليًّا (بلاغة)، وتبئِّر الخطاطةُ بعض الجوانب من نحو:

- حالة السير: تعتعة، عيّ/ تقهقر وعجز(1)، طلاقة/ سير محمود(1)، خطل/ سير غير متأنٍ(1).
- اتجاه السير:

أ) الاتجاه الطبيعي إلى الأمام/ تقدّم(6).

ب) الاتجاه المذموم إلى الوراء/ الدبريّ(4).

- طبيعة السير: مجاراة(3)، سباق(3،6).
- صعوبات السير: وعورة(2)، قطاع طرق(5)، الضياع(7).
- هدف السير: البلوغ(1).

إنّ التحقّق الطرازيّ لخطاطة المسار في حياة العرب هو(الترحال)، ولن تتضح قيمة خطاطة القول مسار دون استحضار مركزيّة التنقل والترحال في حياة العرب، ذلك أنّ الذهن ينزع إلى فهم الأشياء الأكثر تجريدًا، من خلال ما هو أكثر ماديّة (لايكوف وجونسون، 2009، ص121). وينقل الاستنتاجات والتجارب الخاصة بتجربته الماديّة (وهي الرحلة هنا) إلى تجربته المجرّدة (القول)، فكما أنّ الانتقال من مكان إلى آخر وعبور الأرض يمثّل لهم خلاصًا من الظروف القاهرة، وبحثًا عن ظروف أفضل فإنّ القول كذلك، وكما أنّ للرحلة أهوال فللقول أهوال أيضًا ، فقد "صعد روح بن حاتم المنبر، فلما رآهم وقد شَفَنوا أبصارهم، وفتحوا أسماعَهم نحوه، قال: "نكّسوا رؤوسكم، وغضوا أبصاركم، فإنّ المنبر مركب صعب، وإذا يسّر الله فتح قفل تيسّر" (الجاحظ، 1998، 2/ 249) ، ومن أهم ما تبزّره هذه الخطاطة هو أنّ القول مثلما الترحال العربيّ، ضربان:

- محدّد الوجهة سلفًا، فحينها يكون التخطيط والتدبير والسياسة. ولأجل هذا يقول سهل بن هارون: " سياسة البلاغة أشدُّ من البلاغة، كما أنّ التَّوقّيَ على الدَّوَاء أشدُّ من الدَّواء".
- غير محدّد الوجهة، وحينها يكون الارتجال والسليقة.

تدافع نظرية التصورات المجازيّة عن كوننا لا نملكُ معرفةَ التصوّراتِ على نحو ما هي عليه، بل ندركُها بواسِطَةِ غيرِها، عبرَ إسقاطٍ مجازيٍّ مطروحٍ ضمنَ عدّةِ إسقاطاتٍ أخرى محتملة، ولهذهِ العمليّةِ مترتّباتٌ مهمّةٌ تتصلُ بطريقةِ فهمِنا وممارساتِنا حيالَ هذه التصوّرات؛ إذ تسلّطُ المجازاتُ الضوءَ على جوانبَ معيّنةٍ من التصوّرِ، وتخفي جوانبَ أخرى لا تنسجمُ معها.

وفي ضوء هذه الخلفيّة المعرفيّة تخلُص الورقة إلى عدد من الملحوظات والنتائج، يمكن إجمالها فيما يلي:

1. اللغة الواصفة التي قُدِّم بها تصوّر القول ليست حرفيّة ومحايدة، بل ذات أبعاد مجازيّة؛ ذلك أنّ التصوّر الذي صدرت عنه هذه اللغة مجازيّ أيضًا.
2. تتعدّد التصورات المجازيّة للقول، ومن أبرزها: القول حرب، ورؤية، وتبيّن من خلالهما أنّ القول يمارس على الواقع سلطتين: السلطة العنيفة (الحرب)، والسلطة الناعمة (الإظهار والإخفاء)، وفيها يمارس هيمنته على الواقع بإظهار ما يُراد بالكيفية المبتغاة، وإخفاء ما لا يراد.
3. يخضع تصوّرالقول، في المدوّنة، لخطاطتين:خطاطة الميزان، وخطاطة المسار. وظهر في الأوّلى مركزيّة القول العربيّ، وتنميط القول بناء على طبقيّات معيّنة تقسّم المتكلمين والمستمعين إلى (مركز– هامش)، وأبرزت الثانية أهمية القول في الحياة العربيّة، وهي أهميّة توازي طبيعة حياتهم المترحلة.

التوصية:

استكمالًا لهذا العمل نوصي بدراسة تصوّر الكتابة في المدوّنة المدروسة، واستجلاء أوجه الاقتران والتباين بين الشفهيّة والكتابيّة فيها.

المراجع

المراجع العربيّة:

1. التميمي، جنان (2013). الزمن في العربية من التعبير اللغوي إلى التمثيل الذهني: دراسة لسانية إدراكية. جامعة الملك سعود. الرياض.
2. الجاحظ، عمرو (1999). البيان والتبيين. تحقيق عبدالسلام هارون. ط7. مكتبة الخانجي. القاهرة.
3. الجلاصي، محمد (2009). المتكلّم والكلام: في تأويل الإقامة العرفانيّة في العالم. مرايا الحداثة. تونس.
4. ابن دحمان، عمر (2015). نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي. رؤية للنشر والتوزيع. القاهرة.
5. الزناد، الأزهر (2010). نظريات لسانية عرفنية. دار محمّد عليّ للنشر. صفاقس. والدار العربيّة للعلوم ناشرون. بيروت. ومنشورات الاختلاف. الجزائر.
6. العاقد، أحمد (2006). المعرفة والتواصل: عن آليات النسق الاستعاري. دار أبي رقراق، الرباط.

7. البوعمراني، محمد الصالح (2009). دراسات نظريّة وتطبيقيّة في علم الدّلالة العرفاني. مكتبة علاء الدين. صفاقس.
8. البوعمراني، محمد الصالح (2015). الاستعارات التصورية وتحليل الخطاب السياسي. كنوز المعرفة. عمان.
9. الغذّامي، عبدالله (2012). النقد الثقافيّ: قراءة في الأنساق الثقافيّة العربيّة. ط5. المركز الثقافيّ العربيّ. الدار البيضاء وبيروت.
10. مجدوب، عز الدين (2012). إطلالات على النظريّات اللسانيّة الدلاليّة في النصف الثاني من القرن العشرين: مختارات معرّبة. ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين. المجمع التونسيّ للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة). تونس.
11. مصموديّ، وسيمة نجاح (2017). المقاربات العرفانيّة وتحديث الفكر البلاغيّ. كنوز المعرفة. عمان.
12. ابن منظور، محمّد (1999). لسان العرب. تحقيق أمين محمّد عبد الوهاب ومحمّد الصادق العبيديّ. ط3. دار إحياء التراث العربيّ ومؤسّسة التاريخ العربيّ. بيروت.
13. موقو، عفاف(2014) التصوّرات المجازيّة في القرآن: مقاربة عرفانيّة لبلاغة النصّ القرآنيّ. كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بسوسة. سوسة.
14. الوهيبي، فاطمة (2015). الجمال والعنف: البنى التصورية والطقس القرباني دراسة في الخطاب الأدبي والنقدي القديم. فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض.

المراجع المترجمة:

15. إيفانز، فيفان. وجرين، ميلاني (2017) أ " طبيعة اللسانيّات الإدراكيّة". عبدة العزيزي(مترجم). فصول مجلّة النقد الأدبيّ. مج4/25، ع100. صيف. ص38-62.
16. إيفانز، فيفان. وجرين، ميلاني (2017) ب " ما هو علم الدلالة الإدراكيّ؟". عبدة العزيزي(مترجم). فصول مجلّة النقد الأدبيّ. مج4/25، ع100. صيف. ص78-95.
17. شفارتس، مونيكا (2015). مدخل إلى علم اللغة الإدراكيّ. ترجمة سعيد البحيريّ. مكتبة زهراء الشرق. القاهرة.
18. لايكوف، جورج (2005). حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل. ترجمة عبد المجيد جحفة وعبد الإله سليم. توبقال. الدار البيضاء.
19. لايكوف، جورج (2015-2016). "النظريّة المعاصرة للاستعارة". محمد الأمين مومين(مترجم). مجلّة أبحاث لسانيّة. معهد الدراسات والأبحاث للتعريب. الرباط . ص13-102.
20. لايكوف، جورج. وجونسون، مارك (2009). الاستعارات التي نحيا بها. ترجمة عبدالمجيد جحفة. ط2. دار توبقال. الدار البيضاء.
21. لايكوف، جورج. وجونسون، مارك (2016). الفلسفة في الجسد: الذهن المتجسّد وتحدّيه للفكر الغربيّ. دار الكتاب الجديد. بنغازي وبيروت.